

مقياس النقد السيميائي

سيمياء السرد

السنة الثالثة - دراسات نقدية -

مفهوم السرد

علم السرد في اللاتينية (Narratio) هو الجزء الأساسي في الخطاب الذي يعرض فيه المتكلم الأحداث القابلة للبرهنة أو المثيرة للجدل، فهو حكاية لا تقتصر وظيفتها على مجرد تعداد الوقائع والأفعال، ومجالاته لا تخص فقط النصوص الأدبية، وإنما تعدتها للإعلانات والدعايات والإشهارات والسينما، ومختلف الميادين التي تحتوي على قص وحبكة وإن لم تكن بنفس طريقة النص الأدبي.

ولدراسات السردية جذور وسوابق في النظريات اللسانية والبنوية والشكلانية، فهذا ليفي شتراوس في بحثه عن الأسطورة قد استغل مبادئ دو سوسير، واعتبر الأسطورة بنية مزدوجة عالمية ومحلية، معتمدا على ازدواجية اللغة والنظام، بينما طبق الشكلاني فلاديمير بروب نظام الوظائف على الحكاية الشعبية الخرافية منطلقا من بناء الحكاية الداخلي بعيدا عن سياقاتها التاريخية.

توصل فلاديمير بروب من خلال تحليله لمجموعة من القصص الشعبية الخرافية الروسية إلى وجود عناصر دائمة وثابتة داخل كل تلك الحكايات سماها بالوظائف، والوظيفة هي فعل تقوم به شخصية ما من زاوية دلالاته داخل البناء العام للحكاية، والقول أن الوظيفة هي العنصر الدائم والثابت معناه أن الوظائف هي الخالقة للشخصيات وليس العكس، ومن هنا فإن الوظيفة لا تكثر للشخصية المنفذة لها، بل علينا الاكتفاء بتعيينها من خلال اسم يعبر عن الفعل. تلك الوظائف تكون متتابعة ومتسلسلة ومترابطة في بناء محكم، تنتمي كل الحكايات العجيبة إلى نفس النوع من حيث بنيتها، وكأننا أمام حكاية واحدة ببنية وأشكال متعددة للتحقق، هذا التشابه بين الحكايات معناه أن هناك مجموعة من الظواهر النصية التي لا يمكن أن تفسر إلا من خلال ربط بعضها ببعض، وهذا الربط هو الذي يكشف لنا عن البنية الشكلية التي تقع في أساس تشكل كل الحكايات، وهذا يجعلنا اعتبار هذا النظام أشكالا كونية منظمة للفاعلية السردية.

يختلف الخطاب السردي عن الخطاب الشعري
من حيث أنه يمتد بجذوره في تربة خصبة
تتضمن على الكثير من الأنواع بدءا من
الأسطورة وانتهاء بالمطبخ مرورا بكل الأشكال
التعبيرية ذات البعد التصويري، فالحكي حاضر
في الأسطورة والخرافة وفي حكايات الحيوان
والشعبية والقصة القصيرة والملحمة والتراجيديا
والدراما والكوميديا والتعبير الجسدي... وكل
مادة صالحة يودعها الإنسان حكاياته.

وركز جيرار جنيت (ت 2018) على عملية السرد نفسها من خلال تمييزه بين ثلاثة مفاهيم: الحكاية التي تطلق على المضمون والمدلول السردي، القصة التي تطلق على النص السردي وهو الدال، القص ويطلق على العملية المنتجة ذاتها، وهي مجموعة المواقف المتخيلة المنتجة للنص السردي.

التبئير عند جيرار جنيت ذو ثلاثة زوايا: الرؤية من الخلف - مع - من الخارج.

حاول ميخائيل باختين (ت 1975) الثورة على كل الآليات الإجرائية التقليدية على النص السردي والقائمة على تحليل المؤلف واتجاهه وخصائص اللغة الشعرية لعصر ما، وهي عناصر حاجبة للجنس الروائي مهمة له، واقترح خاصية الحوارية على اعتبار أن للرواية عدة مستويات تركز كل لغة فيها على إثارة بقية اللغات حواريا إلى درجة أن يغيب المؤلف وسطها.

جهود غريماس السردية

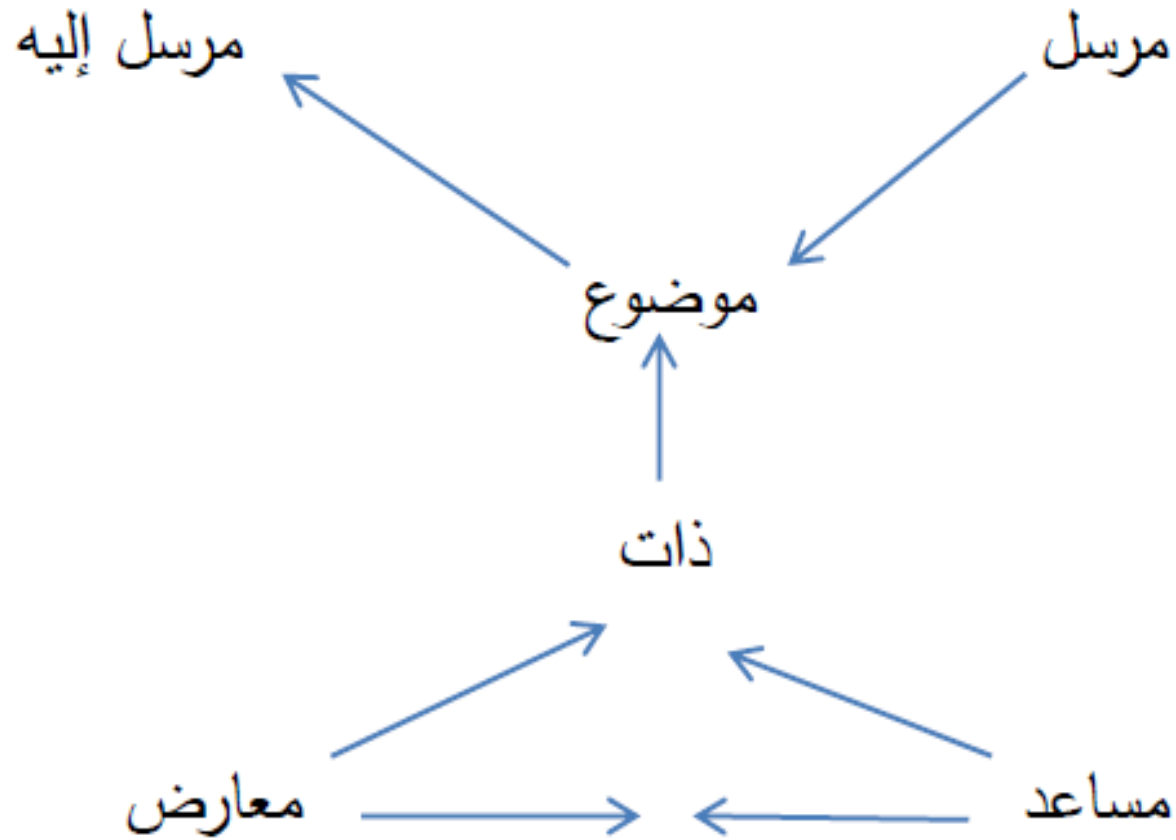
يعد ألبير داس جوليان غريماس (ت 1992) رائد السيميائيات السردية، عَلم هذا العلم بعلامات رمزية ودلالية، غير مهمل المعنى ومختلف التأويلات التي رفضها سابقوه من البنويين الشكلانيين، فأدخل نظام العوامل، ووازن بين الشكل والمضمون داخل العالم القصصي، فلا تعارض بين التحليل الوظيفي والتحليل الوصفي، بل هما يكملان بعضهما.

أهم ما جاء به غريماس المربع السيميائي الذي استنتجه من مربع أرسطو القائم على علاقات أربع: التناقض، التضاد، التكامل، التماثل، وقد ميز غريماس في تحليله للنص السردى بين مستويين أحدهما سطحي يسلط الضوء على النص بكل تمظهراته اللغوية، ومستوى عميق يركز على الفكرة التي يحاول النص التعبير عنها.

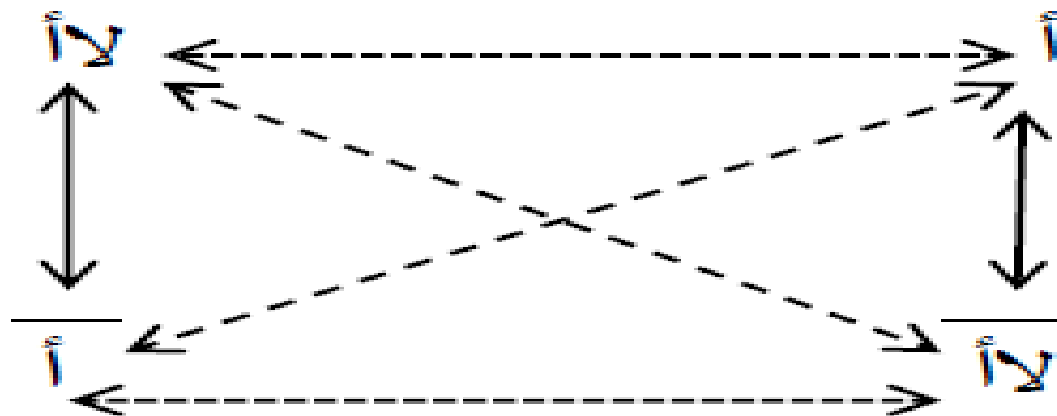
النموذج العاملي عند غريماس يمثل بستة عوامل وستة أدوار عاملية، تقوم على علاقة الفاعل بالموضوع وما يترتب عن هذه العلاقة من أفعال.

توصل غريماس إلى اكتشاف بنى سردية في كل النصوص والخطابات العلمية والإيديولوجية، وهكذا تحولت قواعد الرواية إلى خطاب سردي، ثم إلى قواعد سيميائية، ثم تحولت البنى السردية إلى بنى سيميائية، ولعل ما يميز نظرية غريماس السيميائية هي أنها نظرية يمكن أن تشمل اللغات كلها، وأنساق الدلالات كلها أيضا، نظرا لمرونتها، وقدرتها الفائقة على تحيين الجوانب المكونة للنظرية حسب نوعية النص المعالج.

النموذج العاملي



المربع السيميائي



علاقة تناقض

علاقة تضاد

علاقة تداخل

موضوع السيميائيات السردية

إن التحليل السردى وفق المناهج الحديثة بدأ منذ صدور مورفولوجيا الحكاية العجيبة لفلاديمير بروب ثم عرض جهود بروب في فرنسا من طرف كلود ليفي ستروس ثم كلود بريمون وغريماس في ستينات القرن الماضي.

هيات اللسانيات والأنثروبولوجيا البنوية جوا علميا وثقافيا أبرز قيمة جهود فلاديمير بروب، ولعل أهمية جهوده لا تكمن في النتائج التي توصل إليها حول موضوع الحكاية الخرافية بقدر ما تكمن في الطريقة التي عالج بها بروب قضايا تحليل الحكاية.

إن أهم القضايا التي تطرحها السيميائيات السردية المعنى، فما المعنى؟ وكيف يمكن وصفه؟ وهل يمكن القبض عليه؟ كل هذه الأسئلة تجعلنا أمام إشكالية لا حل لها مهما حاولنا، والسبب هو أن كل الإجابات وفيه للتعريف التقليدي للمعنى عل أنه «جوهر نفسي» وهذا يعني أن البحث عن المعنى تابع لعلوم أخرى كاللسانيات وعلم النفس وعلم الاجتماع... ولم يتحقق استقلال مبحث الدلالة إلا عندما اتخذ لنفسه رؤية جديدة ومنهاجاً جديداً.

ويؤكد غريماس أن الكلمات ليس لها معنى، ولا وجود إلا للتقابلات والعلاقات التي تعطي تمظهرات لهذا المعنى، ذلك أن المعنى جوهره حدسي وغير قابل للتحديد، فافتراض انتماء المعنى إلى ما هو مشترك بين الألسن، أي تشابهها افتراض مردود، لأن كل لسان يتخذ شكلا خاصا به، فلا يوجد تشكيل كلي متشابه، بل كل ما في الأمر من وجهة نظر الدنيماركي هيمسيلف (ت 1965) وجود مبدأ كلي متشابه، أما المعنى فلا شكل له، لذلك يبقى عصيا على المعرفة.

آليات التحليل السيميائي للنص السردي

تتعدد آليات التحليل السيميائي للسرد، وهذا يجعلنا أمام إشكالية منهجية وعلمية، فلكل مدرسة سيميائية جوانبها التي تركز عليها في العمل الأدبي، لكننا سنلخص أهم المحاور والبنى السردية التي يجب تناولها سيميائياً واستجلاء كوامنها ودلالاتها المتعددة.

1- دلالة المكان :

المكان المغلق- المكان المفتوح – المكان المقدس – المكان المدنس

- المكان وعلاقته بالبنى السردية الأخرى

2- دلالة الزمان :

أ- المفارقات الزمنية:

- الاسترجاع/الاستشراف

ب- حركات الزمن:

الخلاصة/الحذف/المشهد/الوقفة

3- دلالة الشخصية:

- دلالة الأسماء

- أنماط الشخصية

- أنواع الشخصية

- أبعاد الشخصية

- علاقة الشخصية بالزمان والمكان

تحليل سيميائي لقصة «نخلة على جدول»

ملخص القصة:

شيخ اسمه **محبوب**، تتعسر به الظروف والأحوال فلا يملك ما يشتري به ملابس جديدة وأضحية للعيد، بعد أن كان غنيا يملك قطيعا من الغنم وبقرة حلوبا ونخلا مثمرا ومساحة مزروعة بالذرة، ويأتيه العرض ببيع نخلته الطويلة لسد ديونه وشراء لوازم العيد من طرف تاجر غني اسمه **حسين**، فيستجيب لنداء قلبه الرافض لبيع النخلة، ويأمل في فرج قريب من الله، وكان له ذلك بعدما أرسل له ابنه **حسن** المسافر منذ سنوات طرد ملابس ومبلغا من المال يكفيهِ.

سيمائية العنوان:

« نخلة على جدول »

من خلال العنوان نفهم أن النخلة هي القضية المحورية وعليها وحوّلها يقوم الصراع والجدل بين الشخصيات وقد احتلت مساحة كبرى في القصة وبها بدأ النص واختتم

العنوان يوجه النص إلى مسار تأويلي موصول بالنخلة أساساً، حيث تغطي النخلة على الجو العام في القصة، كونها تشكل الحادثة الأساسية التي تنعكس بشكل مباشر على الشخصيات، وتصنع منها شخصية إنسانية إلى حد بعيد.

العنوان جملة اسمية حذف مبتدؤها لأهمية الخبر.

«نخلة» وردت بصيغة التثنية، وهذا يجعلنا ننظر إلى اللفظ ببساطة وسطحية في بادئ الأمر، ثم نفهم في ما بعد أن التثنية يدل على العموم والشمول، وإلى الأبعاد العميقة التي توحى لنا بها نخلة على جدول، فالتعريف يحدد الفضاء الدلالي ويعينه.

«نخلة على جدول» عنوان يلخص الحياة، فالنخلة مصدر المأكل والتدفئة والتأثير، والجدول مصدر الماء الذي هو الحياة، فالعنوان رغم بساطته وتلقائيته إلا أنه يجسد بعدا وجوديا واجتماعيا، فالأشياء على بساطتها وسطحيتها تعد مهمة تلخص لنا الحياة وأبعادها المختلفة، فالنخلة هي المأكل والمشرب والتاريخ والأصالة والبركة والخير والاكتفاء والحياة.... والجدول هو الماء، أصل الكون، الاستمرارية، الحياة، الصيد، الزرع...

البنية السطحية للنص:

المكان:

إن ارتباط الإنسان بالمكان جدلية وجودية فرضتها الطبيعة، فالمكان هو الشاهد الوحيد على حياة الإنسان الواقعية والفكرية والأدبية، وله رمزيته الروحية لارتباطه بالذاكرة الذاتية والجمعية للإنسان، فهو شرط الوجود الإنساني الذي يحدد ذاته إلا به وفيه، ويمارس من خلاله الحضور والغياب.

وفي قصة « نخلة علي جدول » نجد بنية المكان حاضرة كأهم العناصر السردية رغم قصرها، ومن الأماكن الحاضرة المهيمنة على النص:

غابة النخيل: مكان منفتح نسبيا على الفضاء، فهو يمثل بدء الحياة والحرية والانفتاح، لطالما صورها النص بمظهرها الساحر الأخاذ بجانب جدول النيل، والنسيم يتلاعب بجريدها يمنة ويسرة، وهو مكان فرض وجوده في النص السردى من خلال النخلة التي دار الحوار حولها، واستحضرت حولها الذكريات، فالمكان ليس حيزا جامدا يرد بشكل سطحي ثانوي، بل للمكان فعله في الشخصيات، والاستجمام، هي الظل الوفير والماء العذب الرقراق....

يقول السارد متحدثاً عن زرع النخلة: « ... ولم ينس أن يصب في الحفرة قليلاً من ماء الإبريق الذي يتوضأ به أبوه تيمناً وتبركاً»، هذا المقطع يصور العلاقة الوطيدة بين المكان والشخصية، فالمكان له بعده الروحي والوجودي الذي يعبر عن الإنسان وتعاطيه مع الأمكنة التي تمثل خزان ذكرياته، ومحل أفكاره ومعتقداته.

غابة النخيل جنة من جنان الخالق في أرضه، وهي صورة سفلية لجنات الفردوس، هو الحياة والرزق والرخاء ...

بنية الشخصية: الشخصية هي الحجر الأساسي في العمل الروائي، وهي الحاملة للرسائل والدلالات المتعددة التي يتلقاها القارئ، هي التي تعقد الأحداث أو تيسرها على حسب المسار السردي، وقد اعتبرها النقاد أهم بنية في النص السردي، ففلاديمير بروب اعتمد عليها في بناء وظائفه، بينما ركز عليها غريماس في تشكيل نموذج العامل.

الشيخ محجوب:

دلالة الاسم : محجوب اسم مفعول من «حَجَبَ» أي ستر وأخفى، وكنتم ... المحجوب هو المصان لعلو قدره، وكل محجوب مرغوب ومحبوب ومطلوب، المحجوب كل انسان عميق التفكير لدرجة الانطواء على نفسه، يتميز بقوة الشخصية، وقد حملت هذه الشخصية الكثير من معاني هذا الاسم، فالشيخ محجوب كثير التأمل والتفكير، يتميز بقوة شخصيته، وسماعه لنداء قلبه ولو تعارض ذلك مع كل الأصوات في الخارج، وقد فتح الله عليه وفرج كربته، المحجوب من كان له حجاب يحميه من كل سوء، والحجاب هو ما يحول بين المرء وخالقه.

الدلالة	ملامحها	الشخصية
<p>الصمود / الاستمرار / الإيمان</p>	<p>شيخ كبير في السن، مدان وفقير، يحب أرضه ونخله، متوكل على الله،</p>	<p>الشيخ محبوب</p>
<p>الاستغلال/ الأنانية / البراغميات</p>	<p>يلبس ثياب فضفاضة جميلة، « كان صورة مجسمة للكبرياء والغطرسة»، تاجر غني همه استغلال الفقراء ، سليط اللسان</p>	<p>التاجر حسين</p>
<p>العقوق/ الجفاء/ ثم الوفاء/ الحب</p>	<p>ابن الشيخ محبوب رباه وكبر وشب، ثم سافر بدون رجعة، لم يكلف نفسه عناء كتابة رسالة لأبيه يطمئنه ، لكن كان همه جمع المال لأبيه والملابس لعائلته.</p>	<p>الابن حسن</p>

بنية الزمان: يعد الزمن ركيزة من ركائز النص السردي، فلا تستقيم الأحداث دون توظيفه، ومن خلاله تتضح السمات الأساسية للقصة، إذ يحقق لمسة جمالية وفنية مميزة، والزمن عبارة عن نسج ينشأ عنه السحر، ينشأ عنه عالم، ينشأ عنه وجود، ينشأ عنه جمالية سحرية، أو سحرية جمالية ... فهو لمحة الحدث، وملح السرد، وقوام الشخصية، فوجود الذات المتخيلة يسهم في وجود زمن متخيل يذكرنا بالزمن الذي وقعت فيه هذه الأفعال.

في القصة نجد أن الزمن يتلخص في **تقنية**
الاسترجاع، فالشيخ محجوب استهلك كل القصة في
استذكار ماضيه، وكيف كان وكانت جنته وبيته
ومكانته في السوق، وسرعان ما يعود لوعيه
فينظر لحاضره المحزن، ثم يعود مرة أخرى
للماضي الجميل، فالزمن هنا بين هيمنة الماضي
وتمزق الحاضر، واستحضاره ليس انفصالا عن
الزمن الحاضر بل تداخلا فيه وتفاعلا، وهذا
الاستذكار ساهم في تقديم معلومات مهمة عن
الشخصية الرئيسية ووصفها والغوص في نمطها
وطباعها وحالتها.

العلامات الاجتماعية : كل نص سرديّ يُبرز سمات اجتماعية معبرة عن المجتمع ودالةً على طريقة تفكيره ومستواه المعيشي والثقافي والفكري، فهذه القصة تجعلنا أمام مجتمع يعتمد بالأساس على الفلاحة، والغني فيهم من يملك نخلا وزرعا.

صورت لنا القصة حياة صعبة قاسية تدفع الكثيرين إلى الهجرة بحثا عن العمل، كما أبرزت قيمة الأرض والزرع والنخل، تلك القيمة التي تدفع الفلاح إلى التمسك بأرضه ورفض كل المساومات.

النموذج العاملي

العامل المرسل
الشيخ محبوب

علاقة تواصل

العامل المرسل إليه
نفسه

العامل الذات
الشيخ محبوب

علاقة رغبة

العامل الموضوع
بقاء النخلة

العامل المساعد
جمال النخلة / نداء
قلبه

علاقة صراع

العامل المعارض
التاجر حسين / فقره /
زوجته وابنته

المربع السيمائي

الفشل

الصمود

علاقة تضاد

تناقض
تناقض

لا صمود
الحاجة للمال

لا فشل
الإبقاء على النخلة

علاقة شبه تضاد